﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤﴾ [آل عمران: 34]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

تتعلَّق هذه الآية بما قبلها من وجهين: أحدهما: أنَّه لمَّا أمرهم تعالى باتِّباع نبيِّنا، وهم يُقرُّون بوجوب اتِّباع الَّذين ذكرهم من الأنبياء الَّذين اصطفاهم؛ بيّن أن جماعتهم - في كونهم متساوين في النُّبوَّة - سواء، وأنَّ الَّذي دلَّ على وجوب اتِّباع هؤلاء الأنبياء يدلُّ على وجوب اتِّباع سائرهم.

والثَّاني: أنَّه نبَّه إلى أنَّ اصطفاءه تعالى هؤلاء لكونهم مطيعين له، مستحقِّين لمحبَّته بذلك[1]؛ لذلك لزمت طاعة المُخاطبين لله وللرَّسول اقتداءً بهم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ذُرِّيَّةَۢ﴾: جِذر هذه الكلمة هو (ذرأ) من ذرأ الله الخلق، فتُرك همزُه، وقيل: بل هو من ذَرْو الرِّيح، وأصله: ذُروية، وقيل: هي فُعْلِيَّة من الذَّرِّ، نحو: قُمْرِيَّة، ويُقال: ذُرِّيَّةٌ للواحد والجمع، ويقال للأصل والنَّسل، قال تعالى: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ [يس: 41] أي: إيَّاهم، ويُقال للنِّساء: الذَّراري[2]، و﴿ذُرِّيَّةَۢ﴾: هِيَ نَسْلُ الثَّقَلَيْنِ[3]، قال الزَّجَّاج: يُقال: ذرأ الله الخلق ذرْءًا؛ إذا خلقهم، وفي الحديث: «أعوذ بكلمات الله التَّامّات من شرِّ كلِّ ما خلق وذرأ وبرأ»[4].

2) ﴿بَعۡضُهَا﴾: جِذر هذه الكلمة هو (بعض)، بعض كلِّ شيء: طائفة منه، وبَعَّضْتُهُ تبعيضًا؛ إذا فرَّقْتَهُ أجزاء، وبعض: مذكَّر في الوجوه كلِّها، كقولك: هذه الدَّار متَّصل بعضُها ببعض، وبعض العرب يصل بـ (بعض)، كما يصل بـ (ما)، كقول الله ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: 159]، وكذلك ببعض في هذه الآية: ﴿وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ﴾ [غافر: 28][5].

---

(1) الراغب، تفسير الرّاغب: 2/525.
(2) الراغب، تفسير الرّاغب: 2/526.
(3) الرّازي، مختار الصحاح: (ذرأ).
(4) الطيبي، فتوح الغيب: 6/256. والحديث رواه الإمامُ أحمد في المسند: 3/419، وابن أبي شيبة في المصنف: 7/419.
(5) الخليل، العين: (بعض).

ويقال للرَّجل من القوم: من فعل كذا؟ فيقول: أحدُنا أو بعضنا؛ يريد نَفْسَه[1]. قَالَ ثَعْلَبٌ: أَجْمَعَ أَهْلُ النَّحْوِ عَلَى أَنَّ الْبَعْضَ شَيْءٌ مِنْ شَيْءٍ أَوْ مِنْ أَشْيَاءَ، وَبَعَّضْتُ الشَّيْءَ تَبْعِيضًا: جَعَلْتُهُ أَبْعَاضًا مُتَمَايِزَةً[2].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

هؤلاء الأنبياءُ والرُّسل - الَّذين اصطفاهم اللهُ - سِلْسلةُ طُهْرٍ متواصلة، حصل التَّناسبُ والتَّشابهُ بينهم في الخَلْق والأخلاقِ النَّبيلة، بعضُهم على إثر بعض، في الإخلاص لله وتوحيدِه والعملِ بوحيه، والله سميعٌ لأقوال عباده، عليمٌ بأفعالهم، يعلمُ مَنْ يستحقُّ الاصطفاءَ، فيصطفيه، ومَنْ لا يستحقُّ ذلك؛ فيخذلُه، ويُرْديه، وسيجازيهم على ذلك[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

سرُّ التَّعبير بلفظ ﴿ذُرِّيَّةً﴾:

مـــدح الآبـــاء والأبناء معًا

قوله: ﴿ذُرِّيَّةً﴾، أي: اصطفى ذرِّيَّة، وأصلها من: ذرأ، بمعنى: خلق، وقيل: من الذَّرِّ؛ لأنَّ الله تعالى استخرجهم من ظهر آدم كالذَّرِّ، وإنَّما سُمِّي الآباء والأبناء ذرِّيَّة؛ لأنَّ الله خلق بعضهم من بعض، فالأبناء من ذرِّيَّة الآباء، والآباء من ذرِّيَّة آدم، وآدمُ عليه السلام ذرأه الله تعالى.

دلالة الحمل على اللَّفظ في عود الضَّمير في قوله: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾:

إشـــارة إلى كمال الذُّرِّيَّة، واصطفائها ممَّن ذرأها

عاد الضَّمير في قوله: ﴿بَعْضُهَا﴾ في قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ على لفظ الذُّرِّيَّة؛ لأنَّ لفظها مفرد مؤنَّث، وليس على

(1) الزمخشري، أساس البلاغة: (بعض).
(2) الفيومي، المصباح المنير: (بعض).
(3) السمرقندي، بحر العلوم: 1/208، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 54، ونخبة من العلماء، التفسير الميسر، ص: 54.

معناها؛ إذ لو رجع إلى المعنى؛ لقال: (بعضهم)، والسِّرُّ في ذلك لفت الانتباه إلى كمال الذُّرِّيَّة، والإشارة إلى أنَّ اصطفاءها عائد إلى اختيار الله الَّذي ذرأها؛ ونصْبُها على البدل، أو الحال من الآلَين أو منهما ومن نوح، أي: إنَّهم ذرِّيَّة واحدة متشعِّبة بعضها من بعض[1]، والمعنى: اصطفى ذُرِّيَّة بعضها من بعض.

دلالة البعضيَّة بين المعنى الكنائيّ والحقيقيّ:

في معنى البعضيَّة في هذه الآية قولان:

تقديم الاتِّصال بالتَّناصُر والدِّين، على صلة التَّناسل

أحدهما: أنَّ بعضهم من بعض في التَّناصُر والدِّين، لا في التّناسل، فيكون المعنى مجازًا، وهو معنى قول ابن عباس وقتادة.

ويمكن أن يكون الاتِّصال بينهم اتِّصال العقيدة والتَّوحيد، ووحدة المصدر والرِّسالة، وذلك أبلغ، وهو ما يستدعي أيضًا طاعة الرَّسول؛ لأنَّ ما جاء به من الأحكام ومن الرِّسالة وما جاءت به الرُّسل إبراهيم وموسى وعيسى - عليهم السلام - مصدره واحد، وهو بالمجمل تأييد لهؤلاء الأنبياء ولكمال رسالتهم، فيكون معنى قوله: ﴿بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ كناية عن الموالاة الدِّينيَّة، لقوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: 71]، وقوله: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [التوبة: 67][2].

الثَّاني: أنَّه في التّناسل، وهو على الحقيقة؛ لأنَّ جميعهم ذُرِّيَّة آدم، ثُمَّ ذُرِّيَّة نوح، ثُمَّ ذرِّيَّة إبراهيم[3].

دلالة ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ بَعْضٍ﴾:

بيان شدَّة الاتِّصال ووثاقته

حرف الجرِّ ﴿مِنْ﴾ يشيرُ إلى شدَّة الاتِّصال بين هذه الذُّرِّيَّة، فـ ﴿مِنْ﴾ للاتِّصال لا للتَّبعيض، أي: بين هذه الذُّرِّيَّة اتِّصال القرابة،

(1) البيضاوي، أنوار التّنزيل: 2/13.
(2) الراغب، تفسير الرّاغب: 2/527.
(3) الراغب، تفسير الرّاغب: 2/527، والرَّازي: مفاتيح الغيب: 8/201.

فكلُّ بعض فيها هو متَّصل بالبعض الآخر، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ﴾ [آل عمران: 28][1].

دلالة التَّذييل في قوله: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

النُّبوَّة اصطفاء واختيار من الله الَّذي يَعْلَمُ حيث يجعلها

من معاني التَّذييل في قوله: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: سميعٌ بأقوال العباد وبأعمالهم، فله سبحانه أن يصطفي مِنهم مَنْ يشاء عَلى نهج قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعام: 124]، والجُملة بحسب المعنى تذييلٌ مقرِّرٌ لمضمونِ ما قبلَها[2].

وفيه وجه آخر للتَّذييل: هو أنَّ اليهود كانوا يقولون: نحن من وَلَد إبراهيم ومن آل عمران، فنحن أبناء الله وأحِبَّاؤه، والنَّصارى كانوا يقولون: المسيح ابن الله، فالله تعالى كأنَّه يقول: والله سميع لهذه الأقوال الباطلة، عليم بأغراضكم الفاسدة من هذه الأقوال، ويجازيكم عليها، فكان أوَّل الآية بيانًا لشرف الأنبياء والرُّسل، وآخرها تهديدًا لهؤلاء الكاذبين الَّذين يزعمون أنَّهم مستقرِّون على أديانهم[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/231.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/27.
(3) الرّازي، مفاتيح الغيب: 8/21.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع، سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 4 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-55-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 4 : سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-55-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5828584 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»